

الفكر الإسلامي بين العقل والوحي

الإسلام دين شامل يحرص على إصلاح البشرية ، وإسعاد الإنسانية بنشر القيم الفاضلة والمعاني السامية ، والمثل العليا في أرجاء الدنيا ، وفي أنحاء العالم ، وفي كل زمان ومكان . ولا عجب فهو دين الإنسان مهما كان لونه ، ومهما كان جنسه . من شرب من معينه عزّ وساد، ومن أعرض عنه فان له معيشة ضنكا ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(١) . هذا الدين الخالد دواء لكل مرض ، ونور لكل ظلام ، وحياة لكل موت ، انه يرقى بالإنسان ليكون خليفة الله في الأرض لينشر البرّ والخير ، ويزرع النور والأمل ، ويغرس التقوى والخلق، ويفتح الآفاق أمام هذا الإنسان، ليعرف مكانه في الوجود ، ومنزلته في الكون ، وقيّمته بين الأحياء . ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٢) .

إن لهذا الدين دعامتين : إحداهما : العقل ، والأخرى : الوحي . فما العقل ؟ وما الوحي ؟

(١) آل عمران ٨٥ .

(٢) الاسراء ٧٠ .

العقل

احتدم الجدل والنقاش بين العلماء والفلاسفة قديماً وحديثاً حول العقل ، وتساءلوا ما حقيقة هذه الكلمة ؟ وما المعاني التي ترمز إليها ؟ وهل العقل هو العلم أو هو القلب ؟ قضايا أثارت في التراث الإسلامي حول وظيفة العقل ، واستمر باب الحوار والنقاش مفتوحاً على مصراعيه حولها في عصرنا الحاضر ، وحتى في اللغة نجد هذا الخلاف الدلالي لهذه الكلمة ، ففي « لسان العرب » :

« العقل : الحِجْرُ والنُّهي : ضد الحمق . وهو الثبوت في الأمور . وهو : القلب . وهو : التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان » (١) .

ولو استمعنا الى الفلاسفة لنعرف رأيهم في معنى العقل رأينا اختلافاً بيناً في هذا المجال ، فأبو بكر بن العربي الفيلسوف ينكر هذه التسمية لهذه القوة الخفية ويقول إنها : « أسماء لا فائدة تحتها ، وتهويلات لا طائل وراءها ، وذلك أن الأشياء والمدركات تسمى في نظره علماً لا عقلاً حيث قال تعالى : ﴿ إِنِّي فِي ذَلِكَ لِخَوِّمٌ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) . كما أطلق عليها عقلاً فقال تعالى : ﴿ إِنِّي فِي ذَلِكَ لِخَوِّمٌ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) . وبهذا الاعتبار فالعقل عنده هو العلم ، وهو صفة يتأتى بها درك العلوم (٤) وابن رشد الفيلسوف العربي

(١) انظر لسان العرب : « عقل » .

(٢) النمل ٥٢ .

(٣) الرعد ٤ .

(٤) آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ١ : ١٤٢ - ١٤٣ .

يحتفظ للعقل بتسميته لأنه يرى أن عقل الإنسان ليس في مستوى واحد في إدراكه للأشياء فهناك عقول نافذة تغوص إلى العمق وتضع يدها على الخيوط الدقيقة لتربط الأشياء ، وهناك عقول دون هذا المستوى لأنها تقف في الربط عند الصفات الظاهرة ، والأمور الواضحة . والمستوى العقلي الأقل في نظره من هذين النوعين تلك العقول التي لا تدرك أسرار ربط المدركات الخفية أو الظاهرة وإنما تقف فقط لتستجيب للألفاظ الرنانة ، والأدلة الخطابية الوعظية ، فابن رشد يقسم العقل الإنساني إلى ثلاثة أنواع يقول : « النوع الأول : العقول البرهانية القادرة على متابعة دليل يقيني محكم ، وتصل إلى نتائج بينة ضرورية . وربط هذه الأدلة هو الذي يكون الفلسفة ، ولكن هذا لا يتسنى إلا لقلّة من العقول الموهوبة بالقدر الذي يجعلها تكرّس نفسها لها . والنوع الثاني : عقول منطقية تكفي بالبراهين الجدلية . أما النوع الثالث فهو العقول التي تستجيب للوعظ ، والأدلة الخطابية ، وهذه غير مهيأة لاتباع الاستدلال المنظم . والعقول الأخيرة نجدها عند الناس العاديين وهم السواد الأعظم الذين لا يستجيبون إلا للخيال والعاطفة فحسب » (١) .

وفي نظري أن العقل قوة خفية تدرك بها الأشياء ، وهي هبة سماوية نستطيع في ضوئها أن نميز بين الحق والباطل ، بين الخبيث والطيب ، بين النافع والضار ، بين الحسن والقيح ، سواء حملت هذه القوة الخفية اسم العقل أو اسم القلب أو اسم العلم .

(١) تراث الاسلام لشاغت ترجمة الدكتور حسين مؤنس ٢٠٩ .

نعم انها قوة خفية لا تقع تحت مجهر ، تستطيع أشعتها أن تمتد إلى السماء أو الأرض باحثة عن المعرفة ، لتقف على أسرار الكون ، وخفايا الوجود .

وفي تراثنا العربي رجلا من رجال الأدب والفكر استطاعا أن يضعوا حدوداً لهذا العقل قبل أن يعيش في أعماقه فلاسفة العصر الحاضر مما يوضح أن ما يقال اليوم عن العقل لا يختلف عما قيل في تراثنا العربي والاسلامي : أحدهما الجاحظ في رسالته المشهورة « المعاش والمعاد » حيث يقول : « فإنما حُمدت العلماء بحسن الثبّت في أوائل الأمور، واستشفافهم بعقولهم ما تجيء به العواقب ، فيعلمون عند استقبالها ما تؤول به الحالات في استدبارها ، وبقدر تفاوتهم في ذلك تستبين فضائلهم ، فأما معرفة الأمور عند كشفها ، وما يظهر من خفاياها فذاك أمر يعتدل فيه الفاضل والمفضول والعالمون والجاهلون » (١) .

وقد استلهم كاتبنا المعاصر الدكتور زكي نجيب محمود رأى الجاحظ في تحديد معنى العقل ما نصه : « فأما التحديد الذي أريد أن أحدد به معنى العقل - حين استخدم هذه الكلمة في هذا السياق - فهو الحركة التي أنتقل بها من شاهد إلى مشهود عليه ، ومن دليل إلى مدلول عليه ، من مقدمة إلى نتيجة تترتب عليها ، من وسيلة إلى غاية تؤدي إليها تلك الوسيلة ، وأهم كلمة في هذا التحديد هي كلمة « حركة » فإذا لم يكن انتقال من خطوة إلى خطوة تتبعها فلا عقل ، إذا أدركت شيئاً دون أن تنتقل من هذه الحالة الإدراكية

(١) رسائل الجاحظ ١ : ٩٥ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .

إلى حالة تليها ، وتتوقفُ عليها فلا عقل ، إذا حملت بيصري في ثمرة صفراء فلا أجاوز منها إلا أنها شيء أصفر فلا عقل ، وإنما يكون العقل إذا انتقلت من رؤية تلك الكرة الصفراء إلى العلم بأنها شيء يؤكل» إلى أن يقول : « واختصاراً فإن حدَّ العقل هو أن ينتقل الإنسان من معلوم إلى مجهول ومن شاهد إلى غائب ، ومن ظاهر إلى خفي خبيء ، من حاضر إلى مستقبل لم يحضر بعد أمام البصر، أو إلى ماضٍ ذهب وانقضى ولم يعد مرئياً مشهوداً ، ومن ثمَّ كان العقل هو الذي يتعقب الحدث إلى أسبابه أو إلى نتائجه . في الحالة الأولى يكرّر راجعاً من الحدث الظاهر إلى علة حدوثه وقد اختفت ، وفي الحالة الثانية يتشوف المستقبل قبل حدوثه مرتكراً في ذلك على الحدث المائل في لحظته الراهنة . وأما أن نرى الشيء وقد انكشف وتجلي فلا عقل في ذاك بل لا فرق فيه بين عاقل ومخبول » (١) .

وثانيهما الأديب المفكر ابن عبد ربّه فقد عرف العقل بقوله : « العقل مُتَقَبِّلٌ للعلم لا يعمل في غير ذلك شيئاً » .

وقد أعجبت هذه العبارة الكاتب الدكتور زكي نجيب محمود كما أعجبه من قبل عبارة الجاحظ ، فيقول معبراً عن إعجابه : « انظر ! العقل لا يولّد العلم من جوفه كما يولّد العنكبوت خيوطه من معدته وأمعائه بل إنه يتقبل حصيلته من الخارج من الدنيا بكائناتها الحيّة والجامدة ، من معطيات الحواس سمعاً وبصراً ولمساً » إلى أن يقول : « العقل مقيد بالمشاهدة والتجارب ، مقيد بالواقع المحسوس ، مقيد بالظواهر ، وانه ليكفر برسالته وبوظيفته إذا

(١) تجديد الفكر العربي : زكي نجيب محمود ٣١٠ - ٣١١ .

هو مَرَق هذه القيود ليشطح بلا قيود ولا حدود» (١) .
على أية حال كانت ، فإن تفسير القدماء والمعاصرين من رجالات
الفكر الإسلامي متقاربة وكلها تدور حول معنى واحد هو وظيفة
هذا العقل ، وليس لنا أن نتساءل بما يعجز عنه العقل ، فنقول :
ما العقل ؟ انه سر وقف فيه أصحاب العقول جائرين كما وقفوا
إزاء الروح التي تملأ الكون حركة فزاد عجزهم وصدق الله العظيم
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا﴾ (٢) . وما يقال عن الروح يقال عن العقل لأنه من أمر الله ،
وليس للعقل الذي فينا أن يتناول إلى غير مداه .
وكل الذي يهمنا نحن البشر أن نلمس آثار هذا العقل في حياتنا
في ميادين العلم والمعرفة والسلوك والأخلاق والبحث في هذا الكون
العريض لنركع في خشوع أمام مبدعه . ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ
كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٣) . وقد أصاب المحزّ الامام أبو بكر محمد بن زكريا
الرازي في كتابه الطب الروحاني حينما عدّد لنا منافع هذا العقل ،
ودلّنا على منابعه التي نستطيع أن نرتوي منها فنعرف أسرار كثير
من هذا الوجود العظيم . قال : « ان الباري عزّ اسمه إنما أعطانا
العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في
جوهر مثلنا نيله وبلوغه . وانه أعظم نعم الله عندنا ، وأنفع الأشياء
لنا ، وأجداها علينا

(١) المرجع نفسه ٣٣٥ .

(٢) الاسراء ٨٥ .

(٣) النمل ٨٨ .

فبالعقل فضلنا على الحيوانات غير الناطقة حتى ملكناها وسسناها ،
وذلكناها وصرفناها في الوجوه العائدة منافعها علينا وعليها ، وبالعقل
أدركنا جميع ما يرفعنا ، ويحسن ويطيب به عيشنا ، ونصل به
إلى بغيتنا ومرادنا ، فإننا بالعقل نلنا صناعة الطب الذي فيه الكثير
من مصالح أجسادنا ، وسائر الصناعات العائدة علينا ، النافعة لنا ،
وبه أدركنا الأمور الغامضة البعيدة المستورة عنا ، وبه عرفنا شكل
الأرض والفلك ، وعظم الشمس ، والقمر وسائر الكواكب ،
وأبعادها وحركاتها . وبه وصلنا إلى معرفة الباري عز وجل الذي هو
أعظم ما استدركنا ، وأنفع ما أصبنا .

وبالجملة فإنه الشيء الذي لولاه كانت حالتنا حالة البهائم ،
والأطفال والمجانين ^(١) وقد رفع القرآن الكريم من شأن العقل ،
فكثير من الآيات القرآنية تطلب التحلي به ، والتمسك بأهدابه ،
والسير في طريقه .

وقد حاولت أن أحصر ورود هذه الكلمة التي تقوم عليها
تصرفات الإنسان ، وتفسر سلوكه في الحياة فوصلت إلى ما يأتي :
أ - صيغة « عقلوه » جاءت مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ يَسْمَعُونَ
كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ ^(٢) .

ب - صيغة « تعقلون » تكررت ٢٤ مرة ومعظمها جاء على صورة
الرجاء : « لعلكم تعقلون » ، وعلى صور الاستفهام « أفلا
تعقلون » .

(١) مقام العقل عند العرب : حافظ طوقان ص ١٠ .

(٢) البقرة ٧٥ .

ج - صيغة « يعقلون » تكررت ٢٢ مرة منها ١٠ صيغ بدون نفي ،
١٢ صيغة جاءت منفية بلا النافية : « لا يعقلون » .

د - « تعقل » جاءت مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
نَعْقِلُ﴾^(١) .

ه - صيغة « يعقلها » جاءت مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿وَمَا
يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٢) .

من هذا الإحصاء نقرر في وضوح أن العقل في القرآن الكريم
شغل كثيراً من آياته التي وصفت المؤمنين الذين آمنوا بربهم بأنهم
عقلاء يتدبرون آيات الله ، ووصفت هؤلاء المنحرفين بأنهم قوم
لا يعقلون إن هم الا كالأنعام بل هم أضل .

ان الأمثال العديدة التي يضربها الله تعالى لخلقه لناخذ منها العبرة
والعظة لا يسر غورها ، ولا يحيط بكنهها ، ولا يدرك مرماها
إلا هؤلاء العقلاء الذين تدبروا وتفكروا ، وصدق الله العظيم
حيث يقول : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
الْعَالِمُونَ﴾^(٣) وإذا يمينا وجهنا نحو الأصل الثاني من أصول
الإسلام في التشريع وتنظيم المجتمع ، والاهتمام بالإنسان وهو
السنة رأينا في ذلك جملة من الأحاديث تشيد بالعقل والعقلاء وفي
الوقت نفسه تذم الحمقى والجهلاء . وفي المعجم المفهرس لألفاظ
الحديث النبوي نجد مادة « عقل » تشغل حيزاً من صفحاته ^(٤) .

(١) الملك ١٠ .

(٢) العنكبوت ٤٣ .

(٣) العنكبوت ٤٣ .

(٤) انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٤ : ٢٩٨ .

وقد حفظ لنا التراث الإسلامي عبارات عديدة كلها تمدح العقل ، وتعترف بفضلَه لا تتسع صفحات هذا البحث لتسجيلها ، وإنما نكتفي بمثال واحد حول العقل في ميدان الخصومات أو في ساحات القضاء ، فهذا عمر بن الخطاب ينص في رسالته إلى أبي موسى الأشعري على استعمال العقل في الفصل بين الخصومات . إنها رسالة هي دستور القضاء إلى يومنا هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يقول رضي الله عنه في رسالته : « لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه إلى رشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الأشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك » (١) .

ولنا أن نتساءل بعد هذه النصوص التي قدمتها في مكانة العقل وسمو منزلته . هل يستطيع العقل أن يطرق باب ما لم يدركه ؟ هل يستطيع العقل أن يبحث فيما وراء العقل ؟ تلك هي القضية وسأحاول بسطها في إيجاز في النقطة الآتية :

العقل والغيب :

هذا العقل الذي يخطط في الحياة من أجل الحياة الإنسانية ، هذا الذي تغمر الوجود عطايه ، هذا العقل الذي أمدّ الحياة

(١) انظر الكامل للمبرد ١ : ١٣ .

بالحركة والنشاط المذهل ، هل ينفذ نوره إلى كشف أسرار الحياة ،
وطلاسم الوجود ؟

كيف يفسر لنا العقل في مجال ما يشاهده ، رفع السماء من
غير عمد ؟ كيف يفسر نظام المجموعات الشمسية التي تطل عليه
فيرفعُ إليها طرفه فيرتدُ خاسئاً وهو حسير ؟ كيف يفسر لنا كشف
أسرار الحياة في المادة التي ماتت ثم يخرج منها الحياة مرة أخرى قوية
في إعجاب ؟

هذا فيما يشاهده ، أما ما لم يشاهده فإن العقل أعجز من المشلول
الذي لا يستطيع أن يتحرك .

كل هذه الأمور من السهل الإجابة عنها لأنه من البدهي أن
العقل مخلوق محدود ، مهما بلغ من الكمال والرقى فله مستوى
معين لا يتعداه ، وغاية لا يتجاوزها ، وذلك لأن المسافة بين
الوجود والعدم مسافة لا يكاد يعبرها العقل البشري ... كيف يعبر
العقل البشري هذه المسافة الهائلة إلا بالإحالة على الإرادة المبدعة
التي تقول للشيء : كن فيكون ؟

ان العقل إذا لم يعترف بهذه الإرادة المبدعة عجز تماماً عن
التعليل والتفسير أو تخطيط تخطيط الفلاسفة في شتى العصور^(١) .

ويعجبني في تحليل فلسفة عجز العقل البشري عن الإحاطة
بأسرار الكون ، وأنه ضعيف في ميدان الغيبات لا يستطيع أن
يصعد النظر إليها - يعجبني ذلك التحليل الرائع للعلامة أبي الحسن
النَّدَوِيّ حيث وضع بتحليله العقل في حجمه الطبيعي وقفصه الماديّ

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته للشهيد سيد قطب ١١٢ .

يقول ما نصه : «إننا لو نقدنا العقل نقداً عقلياً جريئاً مجردين عن سيطرة العقل على العقل نرى أن العقل وحده عاجز في أداء وظيفته الطبيعية بل هو مضطر إلى الاستعانة بأشياء هي أقل منه قيمة ، ففي إدراك ما لم يدركه العقل من قبل يحتاج إلى استخدام المعلومات التي حصلت له مسبقاً ، ولا تكون هذه المقدمات إلا المحسوسات ، فلو حللت المعقولات كلها تحليلاً دقيقاً ، وسمعت رحلة العقل الطريفة والطويلة المدى عرفت أن وسيلة العقل في اكتشاف العوالم الجدد ، والغوص في البحار المجهولة إنما هي هذه المحسوسات التي تبدو تافهة حقيرة ، والمعلومات البدائية التي لولاها ، ولولا ترتيبها ترتيباً خاصاً لما وصل العقل إلى هذه النتائج الخطيرة ذات القيمة الكبيرة ، فحيث تشمل الحواس البشرية ، وحيث لا تكون لدى الإنسان ذخيرة من معلومات ... فهناك يعجز عقله عن شق الطريق إلى الأمام والوصول إلى نتيجة في هذا الموضوع كما يعجز أحدنا عن أن يعبر البحر من غير سفينة ، وأن يطير في الجو من غير طائرة » (١) .

وفي ضوء هذا النص يتبين لنا بصفة قاطعة أن التساؤلات التي بدأت بها هذه النقطة من البحث حول إمكانية هذا العقل أن يمرر هذه القضايا ، قضايا السماوات والأرض قضايا بداية العالم ونهايته ، قضايا الغيب وما حوى من باب عقله الضيق ، إنه لا يستطيع ذلك إنه لو استطاع ذلك لاستطاع الجمل أن يلج في سم الخياط .
من أجل ذلك كان على العقل أن يلوذ بالصمت ، وأن يسكت

(١) بين الدين والمدنية ص ١٦ لأبي الحسن الندوي .

سكوت المحايد ، ولأبي بكر بن العربي موقف دقيق من هذا الذي يسمونه : « عقلا » ، فقد عرّى العقل من كل ما يملك إزاء المدركات التي لا يستطيع أن يلوي عنقها نحو تفكيره ، لأنها أقوى منه بكثير، وقد ردّ على هؤلاء الفلاسفة الذين نزلوا العقل منزلة فوق منزلته ، ومنحوه قدراً فوق قدره ، وبين لهم أن دعوتهم حمقاء « لا تقوم على سوق ، وهي الزعم بأن العقل قادر قدرة مطلقة على إدراك أو تحصيل جميع المعلومات إذ أنه ليس لنا أن ندعي أن له مكاناً في الإدراك يتيح له أن يحيط بكل شيء بمفرده واستقلاله بل أن العقل متواضع ومحدود في مجال إدراكه إذ يوجد طور فوقه ، وعال عليه لا يقوى على إدراكه ، ولا على أن يطرق بابه ، وإنما الذين يَقْوُونَ على طَرُق بابه والنفوذ إليه ، إنما هم الأنبياء الذين أوتوا وسائل توضيح حقائقه ، والتعبير عن قانونه » (١) .

وعلى هذا المنهج سار الغزالي في كتابه « المنقذ من الضلال » حيث يقول : « وعلى الجملة فالأنبياء أطباء أمراض القلوب ، وإنما فائدة العقل وتصرفه أن عرّفنا ذلك، ويشهد للنبوة بالتصديق ، ولنفسه بالعجز عن درك ما يدرك بعين النبوة ، وأخذ بأيدينا وسلمنا إليها تسليم العُمَيَّان إلى القائدين ، وتسليم المرضى المتحيرين إلى الأطباء المشفقين ، وإلى هاهنا مجرّى العقول ومخطاه ، وهو معزول عما بعد ذلك إلّا عن تفهم ما يلقيه الطبيب إليه » (٢) .

(١) انظر آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ١ : ٤٤ .

(٢) المنقذ من الضلال للإمام الغزالي ٨٧ .

ومن هذا المنطلق كان العقل في حاجة إلى الوحي فهو النور الذي يساعده على أن يسير في دروب الحياة ، ثابت الخطأ ، رابط الجأش ، ذلك لأن العقل لا يعيش إلا في المدركات ، والمدركات لها علاقة بالبيئات ، والبيئات ألوان مختلفات ، فقد تؤثر فيه تأثيراً سيئاً فينحرف عن الصواب ، ويميل إلى الخطأ ، ويتجه إلى الباطل ومن ثم يتحول إلى مارد جبار يدمر ولا يبني ، يهدم ولا يصلح ، يشقى ولا يسعد، ولما كان شأنه كذلك ربطه خالقه بالوحي على أيدي رسل كرام يعيشون على هذه الأرض يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق . ومن دونهم فإن مسؤولية العقل في الضلال موقوفة، وانحرافه عن جادة الصواب غير مؤاخذ بها ، لأنه تصرف في حدود قدراته ، وصدق الله العظيم ، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١) .

وسأتناول الوحي بشيء من الدراسة والبحث لأنه الدعامة الثانية للفكر الإسلامي بكل جوانبه المختلفة ، بكل ميادينه المتعددة في الأرض وفي السماء في الدنيا وفي الآخرة .

الوحي

كما كانت مدلولات العقل في اللغة عديدة ، فإن مدلولات الوحي أيضاً عديدة ، فالوحي : إلهام لا يختص به الإنسان دون غيره من المخلوقات، ففي جانب النحل نقرأ قوله تعالى : « وأوحى

(١) الاسراء ١٥ .

ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما
يعرشون» (١) وفي جانب الإنسان نقرأ قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا
إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَن أَرْضِعِيهِ ۖ ﴾ (٢).

والوحي : إشارة : « فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ
أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۖ ﴾ (٣).

والوحي همس ووسوسة : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ
أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَيُؤْتُواكُمْ لَكُمْ لِمَشْرِكَونَ ۖ ﴾ (٤).

والقرآن الكريم : وحي : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَحَّىُّ يُوحَىٰ ۖ ﴾ (٥).
والذي أهدف إليه من هذه المدلولات العديدة لكلمة « وحي »
هو الوحي في اصطلاح الشرع .

والوحي في اصطلاح الشرع معناه : الرسالات السماوية
التي يكلف بها نبي مختار من عباد الله، ليعمل بها أو يبلغها مع عمله
إلى القوم الذين أرسل إليهم .

والوحي بهذا المدلول أنواعه عديدة : فقد يكون عبارة عن
إلقاء المعنى في النفس والقلب .

وقد يكون كلاماً من وراء حجاب . ومن أنواعه أن ينزل
ملك الوحي وهو جبريل عليه السلام إلى الأنبياء ليلقي عليهم رسالات
السماء وتعاليمها ، وقد يأتي جبريل على صور مختلفة لا نستطرد

(١) النحل ٦٨ .

(٢) القصص ٧ .

(٣) مريم ١١ .

(٤) الانعام ١٢١ .

(٥) النجم ٤ وانظر لسان العرب في مادة (وحي) .

في ذكرها لأنها وحدها تحتاج إلى بحث طويل والآية القرآنية الكريمة بينت أنواع هذا الوحي وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ (١). والذي أريد أن أخلص إليه في مجال الحديث عن الوحي أن الإسلام تميز عن الأديان الأخرى التي سبقت به بأن معجزته الخالدة قرآن موحى به من الله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٥﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (٢).

أعني أن القرآن ليس من صنع العقل البشري ، وإلا لتناولته العقول لتجاريه في مجال القول ، وتناقشه في مضمار البلاغة ، وتتحداه في ميدان البيان .

وما زال القرآن الكريم إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يحمل عناصر القوة التي تفرض سلطانها على العقول والقلوب ، والعواطف والمشاعر ، والتي لا تمتلك القوى البلاغية إلا أن تستسلم لها في انقياد وخضوع (٣) .

القرآن من حيث المعنى والاشتقاق :

تعرّض اللغويون لأصل هذه الكلمة واشتقاقها ، وقد سجلت كتب المعاجم ما دار حولهم من خلاف ولم ينس السيوطي في

(١) الشورى ٥١ .

(٢) الشعراء ١٩٢ - ١٩٥ .

(٣) انظر : من الدراسات الإسلامية للباحث ص ٤٢ .

«الإتقان» أن يجمع خلاصة هذه الآراء فيبين أن الشافعي كان يرى :
« أن القرآن اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى »^(١) على
حين يرى الأشعري والفراء والزجاج وقطرب أنه مشتق غير أنهم
اختلفوا في مادة اشتقاقه .

فالفراء يقول : « هو مشتق من القرائن لأن الآيات فيه يصدق
بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً وهي قرائن » .
والزجاج يرى أنه وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى
الجمع ، ومنه : قرأت الماء في الحوض أي جمعته .
وقطرب يقول : « إنما سمّي قرآناً لأن القارئ يظهره ويبينه
من فيه أخذاً من قول العرب : ما قرأت الناقله سلى قط أي ما
رمت بولد ، والقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه فيسميه قرآناً » .
وبعد عرض هذه الآراء ذكر السيوطي أن رأي الشافعي أسلم
الآراء فقال : « والمختار عندي في هذه المسألة ما نصّ عليه الشافعي »^(٢) .
ويرى ابن عطية أن القرآن مصدر من قولك : قرأ الرجل
- إذا تلا - يقرأ قرآناً .

وقراءة كما قال حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان :
« ضحّوا بأشمط عنوان السجود به
يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً »^(٣)

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١ : ٥١ ، وانظر القرآن الكريم وأثره في الدراسات
النحوية للباحث ص ٢ .

(٢) الإتقان ١ : ٥١ .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٨٣ .

توثيق النص القرآني :

ليس هناك كتاب مقدّس وثق توثيقاً مكيناً كالقرآن الكريم ، ولا شك أن هذا سرّ عظمته ، ومفتاح خلوده : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١).

وقد لمس هذه الحقيقة ابن حزم في كتابه المشهور « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ، فقد أشار إلى أن القرآن الكريم ظل « ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلاً جيلًا لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر منصف غير معاند للمشاهدة ، ولا يشكّون ولا يختلفون في أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به ، وأخبر أن الله عز وجل أوحى به إليه ، وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك ، ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ إلينا »^(٢).

وكانت الخطوة الأولى لتوثيق النص القرآني في عهد رسول الله ﷺ كتابته حين النزول ، ومنع كتابة شيء سواه حتى لا يختلط به ما ليس منه ، يدل على ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحاه »^(٣).

وبهذا النهي توقف الصحابة عن كتابة الأحاديث في عهد الرسول عليه السلام صيانة للقرآن الكريم من كل شبهة حتى يظل مصوناً من كل تحريف ، ولهذا السبب حذر النبي ﷺ من

(١) الحجر ٩ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢ : ٨١ .

(٣) تقييد العلم للخطيب البغدادي ٢٩ .

الاهتمام الفكري والكتابي بغير القرآن الكريم . قال أبو هريرة :
« خرج علينا رسول الله ﷺ ، ونحن نكتب الأحاديث ، فقال :
ما هذا الذي تكتبون ؟ قلنا: أحاديث سمعناها منك ! قال : أكتباً
غير كتاب الله تريدون ؟ ما أضل الأمم من قبلكم إلا ما اكتبوا
من الكتب مع كتاب الله تعالى » (١) .

وفي ضوء هذا النهي عن كتابة الحديث الشريف في عهد
الرسول عليه السلام نستطيع القول بأن القرآن الكريم كتب كله
بأقلام كتّاب الوحي وغيرهم من الصحابة الكاتبين ، بيد أنه لم
يجمع في مصحف لأن الحاجة لم تكن ماسة إليه إذ ذاك حيث كان
الصحابة يتسابقون في حفظه ، ويتبارون في كتابته ، والرسول
عليه السلام بين ظهرانيهم يتلو عليهم آياته ، ويبين لهم أحكامه .
على أن السيوطي في الإتقان وضع السبب في عدم جمع القرآن
في مصحف على عهد النبي عليه السلام بقوله : قال الخطابي :
« إنما لم يجمع ﷺ القرآن في مصحف لما كان يترقبه من ورود
ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاة ألهم
الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه
على هذه الأمة » (٢) .

نقد بعض المستشرقين :

راعي ما ذكره الدكتور المستشرق آرثر جفري في مقدمته

(١) تقييد العلم للخطيب البغدادي ٣٣ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١ : ٥٧ .

لكتاب « المصاحف » حيث قال ما نصه : « الرأي الشائع في أن القرآن الكريم كتب في عهد النبي عليه السلام لا يقبله المستشرقون لأنه يخالف ما جاء في أحاديث أخرى أنه قبض صلى الله عليه وسلم ولم يجمع في القرآن شيء » (١) .

ويقنع « آرثر جفري » بوجهة نظرهم مستنداً إلى دليل آخر فيقول : « وهذا يطابق ما روي من خوف عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق لما استحرّ القتل بالقراء يوم اليمامة وسبب الخوف هو قتل القراء الذين كانوا قد حفظوا القرآن الكريم ، ولو كان القرآن قد جمع وكتب لما كانت هناك علة لخوفهما » (٢) .

وأطلت التفكير في هذا القول فهديت إلى أن وراءه التشكيك في نص القرآن الكريم لأن الذاكرة مهما أوتيت من القوة لا تستطيع أن تمسك على ما فيها فترة طويلة ، وذلك يؤدي إلى نقص في النص القرآني أو زيادة عليه ، ويكون شأنه شأن الشعر المروي عرضةً للتغيير والتبديل .

وهذا القول من آرثر جفري لا يستند إلى دليل ، ولا يقوم على حجة ، وذلك لأن ادعاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قبض ولم يجمع في القرآن شيء ، فليس المراد منه أن القرآن لم يكن مكتوباً حينذاك بل المراد أنه لم يجمع في مصحف ، وقد قدمت السبب في ذلك . وليس هناك أصرح من الروايات التي تثبت كتابة القرآن

(١) المصاحف لابن أبي داود ص ٥ .

(٢) المرجع السابق والصفحة .

في عهد الرسول عليه السلام والتي تؤكد « أن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ ، وأنه ما نزلت آية إلا وقد أمر رسول الله ﷺ من يكتب له أن يضعها في موضع كذا من سورة كذا » (١) .

وأما خوف عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق حين استحرّ القتل يوم اليمامة فاستدلال به في غير موضعه ، لأن خوفهما زيادة تحرّ في صيانة القرآن الكريم وحفظه ليلتقي المحفوظ بالمكتوب فلا تكون هناك فجوة بينهما ، وذلك لأن طريقة أداء هذا المكتوب لا تتأتى إلا عن طريق التلقين والرواية ، ومن ثمّ نشأ خوف الخليفتين الجليلين من أن يموت القراء ، فتتعرّ طريقة الأداء .

والخطوة الثانية في توثيق النص القرآني أن الصحابة كانوا يعرضون ما يحفظون على رسول الله ﷺ كعبد الله بن مسعود الذي يقول : « قال لي رسول الله ﷺ : اقرأ عليّ ، ففتحت سورة النساء ، فلما بلغت : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (٢) . رأيت عينيه تذرفان من الدمع فقال : حسبك الآن » (٣) .

والخطوة الأخيرة في التوثيق على عهد رسول الله ﷺ أنه في السنة التي لحق فيها بالرفيق الأعلى عرض على جبريل القرآن مرّتين » (٤) .

(١) مقدمات في علوم القرآن ص ٢٧ .

(٢) النساء ٤١ .

(٣) نقلاً عن « أبي علي الفارسي » للدكتور عبد الفتاح شلبي .

(٤) المرجع السابق والصفحة .

ومعنى ذلك أن القرآن الكريم كما هو مكتوب في المصحف العثماني الذي بين أيدينا هو القرآن الكريم ، هو الوحي المنزل على رسول الله ﷺ في العرصة الأخيرة بترتيبه من غير تقديم أو تأخير ، وبدون زيادة أو نقصان .

وفي هذا يسجل السيوطي رأي الإمام البغوي في الانتقان فيقول : « الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدّموا شيئاً أو أخرّوا ، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذه من رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك ، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا ، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه ، فان القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب » ^(١) .

ونحن إذا قارنا بين هذا التوثيق العجيب الرائع الدقيق للنص القرآني وبين توثيق الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام ليكون منهج حياة ، وسبيل هدى لرأينا الفرق شاسعاً ، واليون كبيراً ، إنهم حرفوا فيه وغيّروا حتى ضاعت معالم الهداية منه ، وظروف هذا الانحراف يعرضها لنا الشهيد سيد قطب في كتابه « المستقبل

(١) الانتقان ١ : ٦١ ، وانظر هذا البحث بالتفصيل في كتابي « القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ٣ - ٦ .

لهذا الدين » فيقول : « إن عهداً طويلاً من الاضطهاد الفظيع قد أظلم أتباع عيسى عليه السلام سواء جاء هذا الاضطهاد من اليهود المنكرين أو من الرومان الوثنيين الذين كانوا يحكمون وطن المسيح مما اضطر الحواريين - تلاميذ المسيح - وأتباعهم وتلاميذهم إلى التخفي ، والتنقل والعمل سرّاً فترة من الوقت طويلة ، ومما اضطرهم كذلك إلى تناقل نصوص الإنجيل وتاريخ عيسى عليه السلام تناقلاً خائفاً في ظروف لا تسمح بالدقة ولا بالتواتر مما انتهى إلى رواية نصوص الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى - عليه السلام - في ثانيا روايات عن حياته وأعماله يختلف بعضها عن بعض فيما سمي بالإنجيل ، وهي كلام هؤلاء التلاميذ ، ورواياتهم عن حياة المسيح متضمنة في ثانياها بعض ما يروى من كلام السيد المسيح ، وقد كتب أقدم هذه الإنجيل بعد المسيح بجيل كامل ، ويختلف المؤرخون للنصرانية اختلافاً كبيراً في تحديد تاريخه ما بين ٤٠ سنة و ٦٤ سنة كما يختلفون في اللغة التي كتب بها إذ لم يوجد له أصل قط ، وإنما وجدت ترجمة له » (١) .

(١) المستقبل لهذا الدين ٣١ للشهيد سيد قطب .

التقاء العقل والوحي

قلت فيما سبق إن التقاء العقل بالوحي هو اللبنة الأولى في بناء الفكر الإسلامي .

ولم يترك الإسلام العقل ليسير من غير توجيه ، لأن الدروب متعددة ، والمسالك متشعبة بل رسم له منهجاً يتربى من خلاله على أصول التفكير السليم .

ومن عناصر هذا المنهج توجيهه إلى النظر في ملكوت السموات والأرض ، لأنه كلما زاد معرفة بأسرار الكون زاد معرفة بخالقه ، ومدبره وصانعه .

وقد كثرت في القرآن الكريم الآيات التي تدعو الإنسان إلى التفكير في هذا الكون بما حوى من مظاهر مختلفة لينطلق العقل إلى آفاق رحبة فسيحة ، فيُقرَّ بصانع هذا الكون ومبدعه من أجل أن تستقر العقيدة ، وتضرب جذورها في القلب وتمتزج باللحم والدم ، والحسّ والشعور ، والعاطفة والانفعال .

وجهه إلى الكون ليتلمس العبرة بنفسه ، ويُحسّ بالحقيقة عن طريق إدراكه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

(١) الرعد ٣ .

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَاتٌ ۖ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ ۖ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ ۚ فِي الْأُكُلِ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١).

ولم يكتف القرآن بذلك ، بل وجهه إلى إدراك الحكمة من صنع هذه المخلوقات ليعرف الإنسان مدى مكانته عند الله فيقول : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت » (٢) . وجهه أن ينظر إلى قوام حياته ، وإلى الطعام الذي قطع مراحل عديدة ليصل إلى فمه ، إلى معدته فيمده بالحياة والحركة ، والنمو والتطور ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴿٢٤﴾ نَأْصِبِنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبَا ﴿٣١﴾ مَنَعَالِكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ﴾ (٣) .

ثم وجه عقله بعد ذلك إلى قصة الإبداع الكبرى ، قصة خلق السماوات والأرض ، قصة انبثاق الحياة من العدم : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ (٤) .

وفي آية أخرى يقول عز وجل : ﴿ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ (٥) .

(١) الرعد ٤ .

(٢) الغاشية ١٧ - ٢٠ .

(٣) عبس ٢٤ - ٣٢ .

(٤) الأنبياء ٣٠ .

(٥) يس ٣٣ .

ولم يقف القرآن الكريم في تربية العقل عند هذا الحد ، بل انتقل إلى مرحلة أخرى من مراحل التربية ، وهي توجيهه إلى الله ذاته ، بين له بالأدلة الفطرية والعقلية أن السماوات والأرض لا يستقيم أمرهما إلا بالله واحد : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١).

وهذا الإله الواحد قريب يسمع نداء من ناداه ، ودعاء من دعاه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾^(٢).

وحيثما تستبد أحداث الحياة بالإنسان ، وتضيق منافذ الدنيا في نظره يُحس العقل الإنساني بأنه قاصر عاجز ، لا يستطيع أن يدفع عوادي الزمن ، ويردّ نكبات الحياة ، ومن هنا ربّاه الإسلام على أن يركن في هذه الحالة إلى قوّة ترد إليه الاطمئنان ، وتبعث في نفسه الثقة ، وهي قوّة الإله الذي بيده وحده مصائر الأمور ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا﴾^(٣) . ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٤).

على أن العقل الذي أتيح له أن يتربى في هذه المجالات جميعاً ، والذي أتيح له من فرص التفكير ما يستطيع به أن يعي الدرس في لحظة وإدراك وقف عند مرحلة محدودة من التفكير لا يستطيع

(١) الأنبياء ٢٢ .

(٢) البقرة ١٨٦ .

(٣) النمل ٦٢ .

(٤) غافر ٦٠ .

أن يتجاوزها ، لأنها فوق استعداده ، وفوق طاقته وفوق إدراكه .
إنه تربي أن يفكر في كل ما تقع عليه العين أو يأتي إليه عن طريق
الوسائل الحسية والمدركات ، ولكن ما وراء ذلك ، التفكير فيه
تطاول على الحقيقة ، لأن العقل المحدود لا يستطيع أن يلمس هذه
المرحلة أو يطرق بابها ألا وهي مرحلة التفكير في ذات الله أو حقيقة
هذه الذات ، ومن أجل ذلك نهى الإسلام العقل أن يفكر في
ذات الله ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما : « تفكروا في خلق الله
ولا تفكروا في الله ، وكل ما ورد في بآلك فالله بخلاف ذلك » .
إن التفكير في الله جنون لا يستقيم مع المنهج السليم ، وكيف يفكر
المحدود في اللامحدود والفاني في الباقي ، والعاجز في القوي ،
والميت في الحي ؟

إنّ العقل يعجز أن يحيط بإدراك هذه المخلوقات العظيمة
التي تملأ هذا الكون من نجوم وشموس ، وأقمار وكواكب ،
ومجرات وراءها مجرات ، فكيف يتطاول إذاً إلى صانع هذه
المخلوقات ليذكر ذاته وهو ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ^ط
وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١) .

إن الإسلام قد وضع يد الإنسان على أضرار الكون ليلمس بعقله العبرة
والعظة من وراء هذه المظاهر الكونية ، ولكن عقل الإنسان لو
تجاوز حدوده لأدّى ذلك إلى التفكير المضطرب ، إلى الانحدار ،
إلى الهاوية .

وقد ربي الإسلام العقل على هذا المعنى ففصل في كثير من

(١) الأنعام ١٠٣ .

القضايا بين الأسباب والمسببات والمقدمات والنتائج ، والعلة والمعلول ، وهي مجالات لا يستطيع العقل إلا أن يعيش في مجالها ، فمنها يستمد تفكيره ، وعليه يبني نتائجه ، وكانت تربية الإسلام للعقل في هذا المجال إعلماً له بأن الله الذي جعل لكل شيء سبباً قدرته تعالى لا تحدّ ، يستطيع أن يفصل بين المقدمة والنتيجة ، ويقطع العلاقة بين السبب والمسبب ، والعلة والمعلول ، ولا أدل على ذلك من قصة زكريا عليه السلام مع السيدة مريم أم المسيح عليه السلام ، إنها قصة مليئة باللفظات العجيبة ، فمريم يأتيها رزقها رغداً من حيث لا تدري ، ففاكهة الصيف تجدها في الشتاء ، وفاكهة الشتاء تجدها في الصيف ، وليس هناك من يقدم لها هذه الفاكهة ، وهنا كان مثار العجب عند زكريا عليه السلام ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنُورِمُنِي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١).

وما لي أذهب بعيداً وزكريا نفسه امرأته عاقر ، والعاقر لا تلد ، وقد بلغ من الكبر عتياً ومن كان كذلك فقد رته على الإنجاب غير ممكنة . ولما أراد الله تعالى أن ينجب توارت الأسباب ، وتلاشت المقدمات أمام القدرة التي تقول للشيء كن فيكون . ﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأُمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢).

(١) آل عمران ٣٧ .

(٢) آل عمران ٤٠ .

وجاءت ولادة عيسى - عليه السلام - درساً ملهماً لهذا العقل
ليقف على حقائق القدرة الإلهية . إنها ولادة أحدثت دويّاً هائلاً في
بني إسرائيل ، أقاموا الدنيا وأقعدوها ، لأن عقولهم عجزت عن
إدراك حقيقة هذه القدرة العظيمة التي بقوتها توجد الأشياء : ﴿إِنَّ
مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١) .
ومن هنا يتلقى العقل أول درس في الإيمان بالغيب ، وبهذا
الإيمان يستسلم العقل إلى ما وراء هذا الكون فيؤمن بالجنة والنار ،
والبعث والنشور ، والحساب والعقاب والملائكة والرسل ، وكل
ما ورد عن طريق رسل الله - عليهم السلام - مما لا يخضع لتجربة
ولا يوضع تحت مجهر ، مما لا يدركه حس ، أو يتناوله بصر ،
ولكنه انقياد يدل على الطاعة ، وإقرار يدل على الإيمان .

ومع التقاء العقل بالوحي وتسليمه لقدرة الله تعالى الذي أبدع
هذا الكون على غير مثال ، فإنه وقف حائراً أمام بعض آيات من
نصوصه لأنها في ظاهرها لا تتناسب مع ما يجب لله تعالى من التنزيه
عن الانصاف بصفات مَنْ خلقهم ، ومن هنا انطلق هذا العقل ليقف
على المعاني الخفية لهذه الآيات لتتناسب مع وحدانية الله تعالى ،
وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وقبل أن أطرق الحديث
في هذه النقطة أحب أن أبين هل فسر النبي ﷺ القرآن ، وبين
معانيه التي تعجز العقول عن فهمها أو فسر بعضاً وترك بعضاً ؟
ذلك ما سأجيب عنه في النقطة التالية .

(١) آل عمران ٥٩ .

قضية تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للوحي :

مما لا ريب فيه أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، ولغة العرب في هذه الفترة من التاريخ كانت مضرب المثل في رصانة اللفظ ، وبلاغة المعنى وقوة التراكيب . ومع قوة اقتدار العرب في فنون القول تحداهم القرآن الكريم أن يأتوا بمثله أو بعشر آيات منه ، أو بأقصر سورة من سورته ، فعجزوا بعد أن حاولوا ، وصدق الله العظيم حين يقول : ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾^(١) . ولا يتطرق إلى الأذهان أن القرآن الكريم يفهم نصوصه العرب جميعاً لأن ذلك مخالف للنصوص التي ساعرضها في هذا الموقف .

حقاً ، أن من المفكرين العرب من يرى هذا الرأي كابن خلدون الذي نص في مقدمته على « أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه »^(٢) .

ولا أميل إلى هذا الرأي لأنه مخالف للواقع فضلاً عن مخالفته للنصوص : أما مخالفته للواقع فإن لغة العرب لم تكن ممثلة في لهجة واحدة ، ولا أميل إلى أن القرآن الكريم نزل بلهجة قريش وحدها بل نزل بها وبغيرها من اللهجات العربية الأخرى ، لأن هنالك نصوصاً تؤكد أن القرآن الكريم نزل بسبعة أحرف ، وإن

(١) الاسراء ٨٨ .

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٣٦٧ .

كان معظمه بلهجة قريش . وحوادث اختلاف القراءات بين الصحابة عديدة سجلتها كتب الرواة والتاريخ ، وإذا كان الأمر كذلك فإن كثيراً من الأحرف التي نزل بها القرآن لا يعرفها العرب جميعاً ، وتحتاج إلى بيان وتوضيح ، وتفسير لمعانيها .

وأما مخالفتها للنصوص فقد ذكر ابن قتيبة في كتابه « المسائل » « أن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه بل لبعضها الفضل في ذلك على بعض ، والدليل عليه قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمناً به »^(١) ثم قال ابن قتيبة : « ويدل عليه قول بعضهم : يا رسول الله إنك لتأتينا بالكلام ما نعرفه ونحن العرب حقاً ؟ قال : ان ربي علّمني فتعلمت »^(٢) وأوضح رد على ابن خلدون ما ذكره ابن تيمية في مقدمته « في أصول التفسير » حيث قال : « يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه ، فقله تعالى : ﴿ لَتَبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾^(٣) . يتناول هذا ، وهذا وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي : « حدثنا الذين كانوا يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً »^(٤) .

(١) المسائل مخطوط لوحة ٤ - نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٢٠٩٦٧ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة .

(٣) النحل ٤٤ .

(٤) مقدمة في أصول التفسير ص ٥ .

من أجل ذلك أقول : إن الخطوة الأولى في تفسير القرآن الكريم كانت على يد النبي - عليه السلام - ، فلما نزل قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ۖ ﴾^(١) . قال بعض الصحابة : وأينما لم يظلم نفسه ؟ ففسر النبي - عليه الصلاة والسلام - الظلم بالشرك ، واستدل عليه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۖ ﴾^(٢) .

وفي حديث عدي بن حاتم - رضى الله عنه - قال : « لما أنزلت هذه الآية : ﴿ وَكُلُواْ وَأَشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ﴾^(٣) . عَمَدْتُ إِلَىٰ عَقَالَيْنِ أَحَدُهُمَا أَسْوَدُ وَٱلْآخَرُ بَيَاضٌ فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وَسَادَتِي ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَيْهِمَا فَلَا يَتَبَيَّنُ لِي ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْأَسْوَدِ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتَهُ بِٱلَّذِي صَنَعْتُ فَقَالَ : إِنَّ وَسَادَكَ إِذَا لَعْرِضَ ، إِنَّمَا ذَٰكَ بَيَاضُ ٱلنَّهَارِ مِنْ سَوَادِ ٱللَّيْلِ »^(٤) .

هذا وقد ثار الجدل بين العلماء حول تفسير النبي ﷺ للقرآن الكريم ، هل فسر القرآن الكريم كله أو فسر جزءاً منه أو فسر فقط ما أشكل من آياته ؟ في رأيي أن النبي - عليه السلام - لم يفسر القرآن كله متبعاً سورة ليفسر آياتها آية آية كما يفعل ذلك المفسرون ، لأنه لو فعل ذلك لأغلق باب التفسير ، وبذلك يتعطل الاجتهاد ،

(١) الأنعام ٨٢ .

(٢) لقمان ١٣ .

(٣) البقرة ١٨٧ .

(٤) روح المعاني للألوسي ٢ : ٦٦ - ٦٧ .

ويتجمّد الفكر ، والإسلام من أخص خصائصه أن يتيح الطريق للأفكار العطشى أن تنهل من معين القرآن ما شاء لها أن تنهل بشرط أن تكون أدوات التفكير متكاملة .

والذي يمكن أن يقال : إن النبي - عليه السلام - تناول في تفسيره الآيات التي تحتاج إلى بيان في العقيدة أو العبادة أو المعاملة أو السلوك . وما كان في إطار غير هذا الإطار تركه النبي ﷺ لعلماء المسلمين حتى لا يتعطل التفكير .

بعد هذا العرض التمهيدي للبذور الأولى في التفسير عرفنا أن كثيراً من آيات القرآن لم تفسرها السنة وبقيت معانيها موضع جدل ونقاش بين مفكري الإسلام وستناولها في الموقفين التاليين : موقف السلف ، وموقف الخلف :

أ - موقف السلف من الآيات المشابهة :

السلف من الصحابة والتابعين وقفوا إزاء هذه الآيات المشابهة موقف التسليم فربطوا عقولهم بالوحي ، ولم يتركوا لهذه العقول أن تتجاوز حدها ، لتعطي رأيها في آيات لم يبين النبي - عليه السلام - معناها ، وفي ألفاظ لم تنضح معانيها في لغتهم ، فأبو بكر الصديق - رضي الله عنه - سئل عن قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا ﴾^(١) فقال : « أي سماء تُظِلّني ، وأي أرض تُقِلّني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم »^(٢) . وعمر بن الخطاب روى

(١) النساء ٨٥ .

(٢) مقدمتان في علوم القرآن ١٨٣ .

عنه أنه قرأ على المنبر ﴿وَفَكِّهَةٌ وَأَبَّا﴾^(١). فقال : « هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : لعمر ك أن هذا هو التكلف يا عمر »^(٢).

ب - موقف الخلف :

وظل الوضع على هذه الحالة حتى برزت أحداث عميقة في كيان المجتمع الإسلامي فقد دخل الإسلام بسبب الفتوح الإسلامية الكثير ، واختلط الفكر الإسلامي القائم على الامتزاج بين العقل والوحي بأفكار أخرى غريبة طفحت على سطح الفكر الإسلامي لتَهْزِه هزاً عنيفاً ، وعلى العقل إزاء هذه الأفكار الوافدة ألا يقف موقف التسليم ، فإن السكوت عن هذه الأفكار الغريبة قد يؤثر في بناء الفكر الإسلامي .

ومن هنا تجرّد هذا العقل الإسلامي ليمسك بعضا موسى أمام هؤلاء الذين يريدون أن يهزوا كيان الوحي بأفكارهم المستوردة ، وليس هناك من حل إلا أن يلقي العقل الإسلامي عصاه لتلقّف ما يَأْفِكُون .

ظهر هذا العقل على يد المعتزلة ليصونوا آيات الله المتشابهة من انحراف المنحرفين وهدفهم الأسمى هو الدفاع عن العقيدة لتبقى صافية من الشوائب ، خالصة من الأكدار ورأوا أنه من العجز أن يقابل العقل الوافد بالاستسلام الذي يقوم عليه المنهج السلفي

(١) عبس ٣١ .

(٢) مقدمتان في علوم القرآن ١٨٣ .

رأوا أن الآيات التي تتعلق برؤية الله تعالى ، والتي تتعلق بالتشبيه لا بد أن تؤول ، لأن العقل لا يسلم بظاهاها الذي من اعتقده خالف العقيدة التي تدعو إلى الوحدانية الصافية ، والتي تدعو إلى التجرد من التشبيه .

وأولوا الكثير من الآيات التي تتنافى مع حرية الإنسان في أعماله حتى يكون الثواب والعقاب قائماً على أساس من العدل والحق . والمشهور أن أصول المعتزلة خمسة هي :

١ - « القول بالتوحيد ، وفيه أن الله واحد لا شريك له من أي جهة كان .

٢ - القول بالعدل ، وفيه أن الله لا يحب الشر والفساد .

٣ - القول بالوعد والوعيد ، وفيه أن الله صادق في وعده ووعيده .

٤ - القول بالمنزلة بين المنزلتين وفيه أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ولكنه فاسق .

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيه تكليف المؤمنين بالجهاد وإقامة حكم الله » (١) .

والناظر لهذه الأصول يرى أنها ليست خارجة عن دائرة الإسلام ، وليست بعيدة عن أصول الدين ، ولكن الجديد في أصولهم أنها عرضت عرضاً عقلياً ، والعرض العقلي يقوم على الحوار الذي يعطي الحركة الفعالة بين الطرفين المتحاورين حيوية ونشاطاً ، أما التسليم لظاهر النص بلا دليل فهذا غير مقنع للعقل الذي يبحث عما وراء الأشياء . والواقع أن هذا الخلاف بين المنهجين السلفي والمعتزلي خلاف فرعي ، خلاف حول السبيل الموصل إلى صيانة الإسلام من هذا

(١) النزعة العقلية في تفكير المعتزلة ص ٥٦ علي فهم خشم ط ثانية .

الخطر الذي بدأ يعلن عن نفسه بعد الفتوحات ، وكان معركة السيف قد انتهت ، لتبدأ معركة العقل والفكر .

لهذا فإن أبا مظفر الإسفراييني قد أصاب حينما أنهى قضية الاختلاف بقوله : « إن الخلاف لا يكون خطراً إلا إذا كان في أصول الدين ولم يكن اختلاف بينهم في ذلك ، بل كان اختلاف من يختلف في فروع الدين » ^(١) على أن الجانب السلبي لم يقف مكتوف الأيدي أمام آراء المعتزلة وغيرهم من الفرق الإسلامية موقف العاجز ، بل دافع عن وجهة نظره ، وكان عماده في هذا الدفاع النصوص الدينية من القرآن والسنة .

نستمع إلى أبي الحسن الأشعري لإعلان منهج أهل الحق والسنة أمام هذه الرياح الفكرية العاصفة ، يقول : « فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية ... فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون .

قيل له : قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل ، وبسنة نبينا محمد ﷺ ، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ...

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وبما جاءوا به من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئاً ، وإن الله عز وجل إله واحد ، لا إله إلا هو ،

(١) نقلاً عن كتاب النزعة العقلية في تفكير المعتزلة ص ١٧ .

فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق .

وان الجنة والنار حق ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(١). وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزهاً عن الممارسة ، والاستقرار ، والتسكن ، والحلول ، والانتقال ، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهودون في قبضته ، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من جبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد^(٢) ومع ذلك فإن أبا الحسن الأشعري حامل لواء السمة لم يقم السدود بينه وبين العقل بل كان إيمانه بالنص من غير تأويل ، وفي الوقت نفسه يستعمل كل طاقات عقله ليدافع عن الباري تعالى لا يشبه المخلوقات لأنه خالقها ، وفي استدلاله الفكري ما ينم عن عقل واع يحرس الدين من أهواء المنحرفين يقول مثلاً : « فان قال قائل : لم زعمتم أن الباري سبحانه لا يشبه المخلوقات ؟ قيل له : لأنه لو أشبهها لكان حكمه في الحدث حكمها ، ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من كل الجهات أو من بعضها ، فإن أشبهها من جميع الجهات كان محدثاً مثلها من جميع الجهات

(١) الحج ٧ .

(٢) الابانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص ٢٠ - ٢١ .

وان أشبهها من بعضها كان محدثاً من حيث أشبهها ، ويستحيل أن يكون المحدث لم يزل قديماً ، وقد قال الله تعالى : « ليس كمثله شيء » وقال تعالى : « ولم يكن له كفواً أحد »^(١) .

وفي مسألة ثانية يقول :

« فإن قال قائل : لم قلت : إن صانع الأشياء واحد ؟ قيل له : لأن الاثنين لا يجري تدبيرهما على نظام ، ولا يتسق على إحكام ، ولا بد أن يلحقهما العجز أو واحداً منهما ، لأن أحدهما إذا أراد أن يحيي إنساناً وأراد الآخر أن يميتة لم يخل أن يتم مرادهما جميعاً أو لا يتم مرادهما ، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر . ويستحيل أن يتم مرادهما جميعاً ، لأنه يستحيل أن يكون الجسم حياً وميتاً في حال واحدة وإن لم يتم مرادهما جميعاً وجب عجزهما ، والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً ، وإن تم مراد أحدهما دون الآخر وجب عجز من لم يتم مراده منهما والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً »^(٢) .

ويستدل الأشعري استدلالاً رائعاً يقوم على العقل والمنطق بأن للخلق صانعاً ومدبراً دبره يقول :

« ما الدليل على أن للخلق صانعاً صنعه ، ومدبراً دبره ؟ قيل له : الدليل على ذلك أن الإنسان الذي هو في غاية الكمال والتمام كان نطفة ثم علقه ثم لحماً ودماً وعظماً وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال ، لأننا نراه في حال كمال قوته ، وتمام عقله لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعاً ولا بصرأ ، ولا أن يخلق لنفسه جارحة ، يدل

(١) اللمع في الرد على أهل البدع ٢٠ .

(٢) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ١٩ - ٢٠ لأبي الحسن الأشعري .

ذلك على أنه في- حال ضعفه ونقصانه عن فعل ذلك أعجز ، لأن ما قدر عليه في حال النقصان فهو في الكمال عليه أقدر ، وما عجز عنه في حال الكمال فهو في حال النقصان عليه أعجز ورأيانه طفلاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال الشباب إلى حال الكبر والهرم ، لأن الإنسان لو جهد أن يزيل عن نفسه الكبر والهرم ويردها إلى حال الشباب لم يمكنه ذلك ، فدل ما وصفنا على أنه ليس هو الذي ينقل نفسه في هذه الأحوال ، وأن له ناقلاً نقله من حال إلى حال ، ودبره على ما هو عليه لأنه لا يجوز انتقاله من حال إلى حال بغير ناقل ولا مدبر . مما يبين ذلك أن القطن لا يجوز أن يتحول غزلاً مفتولاً ثم ثوباً منسوجاً بغير ناسج ولا صانع ولا مدبر ومن اتخذ قطناً ثم انتظر أن يصير غزلاً مفتولاً ثم ثوباً منسوجاً بغير صانع ولا ناسج كان عن معقول خارجاً ، وفي الجهل والجاهل^(١) .

وبعد فهذه خطوط عريضة قدمتها للتفكير الإسلامي بين العقل والوحي في مجال العقيدة وبقي أن نشير إشارة قصيرة لخطوط أخرى عريضة بين العقل والوحي في مجال التشريع .

(١) المرجع نفسه ١٧ - ١٨ .